المقدمة.

بسم الله ، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد بقيت سمات الابداع والابتكار والتجديد مختصة بالشعر العربي في المشرق لحقب طويلة من الزمن. وعلى أساس هذا الشعر ذهب النقاد والادباء ومؤرخو الادب يستجلون خصائص النص الشعري المميز. ويقيمون على تلك الميزات القواعد النقدية الهامة، فظهرت قضايا نقدية كعمود الشعر والطبع والصنعة والقديم والمحدث والسرقات الشعرية... وغيرها. وعلى خلفية تلك النصوص. وهاتيك القواعد عُدّ تجاوزاً على النص الواعي من خرج عن هذا الشعر وعن أصالته حتى قُصر الابداع على النص الشعري الجاهلي حصراً. وكفّر الشاعر الذي يخرج عن معاني هذا الشعر وعن خصائص قصائده، وعن أصول نظم القصيدة الجاهلية في أغراضها ولوحاتها.

ولم يقتصر الأمر على هذه القواعد وحدها، وإنما أرتبط اداء الشعراء في باقي العصور بمضامين تلك القصيدة، فذاعت المقولات النقدية التي تشير الى تجاوز الشاعر على ذلك النظم- الجاهلي- ومن ثَمّ تجاوزه على قانون الشعر العربي عموماً، فكثرت المقولات من مثل:

- وهذا خارج عن عمود الشعر.
- هذا مستكره معيب لأن ألفاظه فارقت ألفاظ الجاهلية.
- هذا مصنوع يحاكي قول أمرئ القيس.
- هذه ليست من سمات الابتكار، إذ لم ترد في شعر الأقدمين... وما شابه ذلك[1].

وأزاء هذا الكم الهائل من الأحكام النقدية التي توالت على الشاعر في كل زمن جعلته أسير التقليد الأعمى، والسير القسري على منهج الأقدمين في النظم لسنوات طويلة، وجّهت الانظار نحو الاصقاع الجديدة التي أنتجت شعراً، وولّدت شعراء. وأشعلت الادب العربي بهالة من النصوص الشعرية ردحاً من الزمن. وكان الادب الاندلسي من تلك الاداب التي ولدت في بيئة جديدة تختلف في كل شيء عن بيئة المشرق. فأنهال عليه الدارسون والنقاد يميزون جديده، ويعنون بمحاسنه. وما هي إلا

---

(١) للمزيد عن هذه العبارات، ومثل هذه الأحكام يُنظر: النقد عند اللغويين فى القرن الثاني الهجري: سنية أحمد محمد، دار الرسالة- بغداد، ١٩٧٧، ص٦٨-٧٩.

أطلالة أو نظرة بسيطة حتى عادت تلك الاقوال التي تسلبه مقومات الابتكار والأصالة، وتجعله تابعا ذليلا لأخيه- الشعر المشرقي-. وتخرجه عن كل جدة وطرافة. فعادت المقولات السالفة بشكل اقوى تأثيراً، وأكبر تجريداً لكل شيء جديد. ومن تلك المقولات:

* وهذا المعنى قديم، أخذه.... من قول الاعشى يمدح فلاناً.
* وهذا خروج عن نمط المقدمة في القصيدة الجاهلية جاء به ابو نواس، والشاعر الاندلسي...(!).
* هذه رسالة كتبها ابو العلاء المعري.
* هذه القصيدة محاكاة لجبل التوباذ الوارد في شعر...

وعلى فحوى هذه المقولات وأمثالها كان الادب الاندلسي يلقى الضيم والتهميش في أغلب نصوصه الشعرية، فلا أدري لماذا كل هذا الظلم والهضم(ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خصّ به قوما دون قوم. بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر، وجعل كل قديم حديثا في عصره، وكل شرف خارجيّة في أولّه)[1].

وقد جاءت دراستي هذه لتبرز بعض أصالة النص الشعري الأندلسي من خلال أهم مؤثر على ذلك النص وصاحبه. المكان- انماطه ودلالاته والاحداث التي تقع عليه- ، ولا سيما بيئة الاندلس الجميلة الساحرة وما تركته من أثر على الشاعر الذي عاش في كنفها جعلتنا نتغنى بأشعاره التي قيلت فيها وفي جمالها الى يومنا هذا.

إن موضوعنا(المكان في الشعر الأندلسي-من عصر المرابطين حتى سقوط غرناطة) ليكشف عن سمات المكان ونوعه، ودلالته على النص الشعري في الاندلس بوضوح وتركيز. ويظهر الكثير من مقومات نجاح هذا النص، ومقومات أصالته بما تجعله رديفا لشعر المشرق. تميزاً وأبداعاً وأصالة. وأظن أن أسباب عكوفي على أختيار هذه العصور(المرابطين والموحدين وبني الاحمر) بالدراسة والتحليل عائدٌ لجملة أمور أهمها:

١- بالنسبة لعصر الطوائف فأن هناك دراسة سابقة تناولت أثر المكان على الشاعر الاندلسي الذي عاش في هذا العصر. وهي دراسة الدكتور سعد اسماعيل شلبي

(١) الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦هـ)، تحقيق وتعليق: احمد محمد شاكر، القاهرة،ط٢،١٣٨٦هـ-١٩٦٦،١/٦٣.

الموسومة بـ(البيئة الأندلسية وأثرها على الشعر في عهد ملوك الطوائف). أستوفى فيها الباحث الفاضل الحديث عن أثر البيئة بأنواعها(الطبيعية والثقافية والسياسية والاجتماعية) على شاعر هذا العصر. وخرج عن هذا الأثر بنتائج موضوعية وفنية طيبة، فأهملنا هذا العصر من حساباتنا لوجودها.

٢- إن هذه العصور لم تلق العناية الأكاديمية التي حظي بها عصر ملوك الطوائف. إذ غالباً ما تصدر هذا الأخير تلك العناية، وكان المضمار الأهم الذي تنافس فيه الدارسون والباحثون، فهو في نظر الكثيرين أزهى العصور، وأغزرها نتاجاً، وأكثر هذا النتاج نضجاً. ولذا آثرت الابتعاد عن هذا العصر وما قيل فيه محاولاً الوقوع على أسس الابداع ومكوناته في العصور التي تلته إذ أن المجال فيها أوسع وأكبر.

٣- مسألة يثيرها الجهد العلمي الذي يصدر حديثا، وهو يعنى بهذه الحقب. فقد رأيت أن هناك مجموعة كبيرة من الدواوين والمجموعات الشعرية نُشرت في نهاية القرن الماضي وبدء القرن الحالي قد أهتمت بهذه الحقب. وهو أمرٌ من شأنه أن يمد الدراسة بكل ما هو جديد وحديث، ويوّسع أمامها آفاق البحث بالاطلاع على أكبر قدر من النصوص الشعرية التي توثق الظاهرة المكانية، وتعمق من أهميتها.

٤- ثمة مسألة يثيرها تأريخ هذه العصور، وهي مهمة ، عكست أحساس الشاعر النفسي نحو المكان بصورة عميقة، وهي مسألة سقوط المدن والأمارات. فهذه العصور شهدت انحسار مُلك المسلمين، وتلاشي عظمتهم، وضياع أوطانهم وأماكن حضارتهم حتى لم تبق في نهاية المطاف إلا غرناطة وما يعود إليها سياسياً وأدارياً، فلا شك في أن يكون لسقوط المدن هذه أثره المهم على الشاعر الاندلسي، ومن ثَمّ على شعره.

كانت تلكم أهم الأسباب التي دعتنا لأختيار الموضوع وعصوره. أماعن المنهجية التي سار عليها البحث فكانت على وفق ما يلي:

فالتمهيد: كان جولة في ماهية المكان وأهميته. أنماط ووسائل تشكيله في النص الشعري. ورأيت أن أختم هذه الجولة بالحديث عن النظرية الأقليمية التي تعنى بتقسيم الشعراء على وفق أمكنتهم وبيئاتهم، ومايجره هذا الكلام من تداعيات على الشاعر ونصه متمثلة ببروز غرض دون غرض، أو أتجاه دون اتجاه .أو كمية هذه الأغراض وقيمتها موازنة مع غيرها.

ولا ريب في ان التمهيد وما عرضناه فيه قد لا ينطبق كله على الشعر الاندلسي، إذ أردنا أن يكون الكلام شاملاً عن كل ما يخص المكان من قريب أو بعيد، مع التركيز قدر الأمكان على الشعر الأندلسي. ومع ما جدّ منه من ظواهر وأغراض ودلالات.

أما الفصل الأول: فكان البعد البيئي المباشر (ثنائية المكان الاليف والمكان المعادي) كما عاشه الشاعر الأندلسي بملابساته ومفاهيمه. وقد فصلت فيه القول- مستغلا ثنائيات الأمكنة- على مبحثين أثنين:

١- **المكان الأليف.** وشمل المكان الطبيعي، وهو كثير وشائع. وكما هو معلوم للجميع أن الأندلس إن لقت المنصف المعتدل الذي يتحدث عن أصالتها وأصالة أدبها وشعرائها وجدته يتكلم عن هذي الأصالة من خلال هذا المكان. ومن هنا ربما كان الاسهاب في انواع المكان الطبيعي ودلالاته بمقصد من الباحث لكي يُري القارئ فاعلية المكان وسبل توظيفه عند الشاعر الأندلسي.

وشمل المكان الاليف **المكان الأجتماعي:** وهو ما يثير فينا الدفء والأمان ويسبغ علينا مقومات الحياة الامنة الهادئة. فدار الحديث عن أماكن السكن المعروفة، وعن دلالات هذه الأمكنة الأجتماعية المختلفة.

غير أننا قد نضع اليد على بعض النصوص التي تبنت أثر المكان الاجتماعي وعكست دلالة معادية لهذا المكان. تلك الدلالة التي تجعل الشاعر يذم مكانه الاجتماعي المعاش، أو يتهرب منه.

٢. **المكان المعادي.** وشمل: القبر والسجون والمعتقلات و أمكنة أخرى.

وعلى الرغم من أن المفردة الأولى التي تناولها المكان المعادي هي نتيجة حتمية لمصير الأنسان، ونهاية متوقعة لحياته إلاّ أن الشاعر الأندلسي نظر إلى هذا المكان نظرة عدائية، شفّعها بالكثير من الكلمات والصور التي أثارت فينا حزناً وشجناً حال قراءة الابيات التي وصفت هذا المكان.

وفي السجون وبين قضبان الاعتقال نسج الشاعر من خياله وفكره مكونات القصيدة المؤثرة، وتركها شاهداً صلداً على عنف المكان المعادي وقسوته على الانسان. فهو السالب حريتهم، المقيّد علاقاتهم.

أما عن المدينة فإن النصوص التي استشهدنا بها على معاداة الشاعر الأندلسي كانت محدودة من حيث الكم، لأن هذه الثيمة المكانية كانت مجال الحديث في عنوانات

أُخرى من البحث. وأظن أن هذه المحدودية أبانت عن النظرة العدائيـــة التـــي حملـــها الشاعر ضد مدينته، ودوّنت أحداثها التي جعلتها مكاناً معادياً مذموماً.

أما الفصل الثاني: فكان المكان التأريخي (البعد التراثي الفكري للمكان)، وقد ضـم هذا المكان تراث أهل الأندلس، وفكرهم وحضارتهم التي امتدت خمسة قرون تقريباً هي مدة الدراسة التي تناولها البحث. وكان لهذا المكان من التأثير الكبير والوقـــع المـــهم، بحيث كشف عن الحروب التي وقعت في الأندلس - أثناء هذه الحقب- وعـــن نتائجـــها، وعن مآثر العرب المسلمين فيها، وانتصاراتهم وخلود أبطالهم ورثاء شـــهدائهم. فكـــان المبحث الاول يعنى بالمكان التاريخي وبسماته وخصائصه.

فتناول الحديث عن المكان الحربي واهم المعارك التي خاضـــها المســـلمون فـــي الاندلس ، واهم النتائج التي تمخضت عن هذه المعارك ثم تناول الحديث عـــن المكـــان الديني، ومارأيت ضيراً من إشراك بعض الأغراض التي من شأنها كشف سمات المكان الديني وبيان أثره في النص الشعري الاندلسي، كالرثاء والمديح النبوي والزهد. وأمـــا عن باقي المبحث فدار حول الحجازيات، والاحتفالات الدينية التي كثرت في الأندلـــس ولاسيما في عصر بني الاحمر. ولعل النصوص الكثيرة التي عرضناها كشـــفت عـــن اهتمام المسلمين في الاندلس، شأنهم في ذلك شأن المسلمين فـــي غـــير هـــذا المكـــان، بأمكنتهم الدينية مما يدلل على عظيم تمسكهم بشعائرهم وكبير اهتمامهم بها فـــي كـــل زمان ومكان.

وانتهى المبحث من هذا الفصل بالحديث عن المكان الحضري بحســـب ماشـــرحه النص الشعري. وأي استطراد يمكن أن يغطي الحديث عن هذا المكـــان؟ وأي منـــهج يشمل مفرداته وتفاصيله؟! فجعلناه مركّزاً على المظـــاهر الحضاريـــة الأكـــثر وروداً، والأهم بياناً وأحلنا في الهامش الى المزيد من النصوص والدراسات التي تعنـــى بـــهذا المكان وتبحث في أصالته وديمومته.

اما المبحث الثاني فتناول الحديث عن المكان الاني . وتمثل هـــذا المكـــان فـــي الامكنة الانية المستوحاة من موروث الامكنة التاريخية ثم ادب الاستنجاد الـــذي جســـد المكان الاني عند الشاعر الاندلسي غاية التجسيد -دلالة وعاطفة- .

في الفصل الثالث من البحث، كان رؤية الشاعر الأندلسي للمكان وموقفـــه منـــه (البعد النفسي السايكولوجي للمكان). وهذا البعد يمثل جوهر العملية الابداعية، ويكشـــف عن مقومات الصدق الفني التي تلزم الشاعر البوح عن مشاعره وانفعالاته بشكل قـــوي

مؤثر. فكانت مباحث هذا الفصل (الاغتراب، الغربة والحنين، البكاء والندب، التحـــول المكاني) أزاحت تلك العملية وربطت بين أطرافـــها(**الشـاعر ←النـص ←المتلقـي**). وأبانت تلك المقومات والمشاعر التي هي من الأهمية العظمى في كشف المشاعر الخفية لمنشئ النص ومبدعه.

وثمة مايثير التساؤل في مباحث هذا الفصل، وهي مسألة التفريق بين الاغـــتراب والغربة والحنين، وكيف أنفصلا -فكراً ومضموناً- بعد أن كانت النظرة إليـــهما فـــي الكثير من الدراسات على أنهما شيء واحد، وأصل مشترك في المقومات والنتائج. وهذا ماأشرنا إليه في مكانه. ومادعمناه بالنصوص الشعرية الكثيرة التي آمل أنها تكون قـــد وضحت الفرق بين المصطلحين، وكشفت النقاب عن الأختلاف الواقع بينهما.

أما الفصل الرابع؛ فكان يدور حول الدراسة الفنية للنصوص الشعرية التي جـــاء المكان بين مفاصلها، وكان محور صورها، ومثير موسيقاها وجرسها. فالبعد الجمـــالي لهذه المفردة المهمة في الشعر وباقي فنون الادب كمن في بنية النص الشعري الاندلسي في المبحث الاول وشمل: (المكان في بنية البيت الشعري والمكان في بنية المقطوعـــة، والمكان في بنية القصيدة ومنها المكان في بنية القصيدة القصصية).

وأما المبحث الثاني فكان المكان والصورة، وقد شرحنا مفهوم الصورة المكانيـــة شرحاً موجزاً ومن ثَمَّ بينا أثر المكان في هذه الصور من خلال (أنسنة المكان والحواس في معمارية الصورة المكانية والخيال في معمارية الصورة المكانية).

أما عن المبحث الاخير فمن الطبيعي أن يشكل جرس **النص الشعري** وموســـيقاه. وقد كان هذا المبحث مقتضباً مختصراً، إذ اننا تكلمنا عن بعض الظواهر الصوتية فـــي ثنايا البحث فآثرنا عدم تكرارها. وعلى كلٍ فقد شمل هذا المبحـــث بعـــض الظواهـــر الصوتية المهمة التي تركت ايقاعاً وجرساً مؤنساً خلال أستخدامها كالتكرار والجنـــاس والتقسيم الايقاعي.

ثم **ختمت البحث** بخاتمة دوّنت فيها أهم النتائج التي توصل إليها البحـــث، فقائمـــة المظان التي أستقى منها البحث مادته العلمية والفكرية والادبية. وكانت هـــذه المظـــان كثيرة ومتشعبة أهمها:

١. **الدواوين والمجموعات الشعرية**. وهي كثيرة بلغت الاربعين ديواناً ومجموعـــاً شعرياً. وقد توزعت على العصور الثلاثة، المرابطين ك: ديوان الجـــزار السرقســـطي

ومجموع شعر ابن صارة ، وديوان الاعمىٰ التطيلي ، وديوان ابن حمديس وديوان الداني وديوان ابن الزقاق، وديوان ابن خفاجة، وديوان ابن بقي.

عصر الموحدين ك: مجموع شعر أبي جعفر بن سعيد وديوان الرصافي وديوان ابن شكيل، وديوان الجراوي، وشعر ابن جبير وشعر مرج الكحل وديوان ابن سهل وديوان ابن الجنان وديوان ابن عربي، وديوان الششتري وديوان ابن الابار وشعر الرندي، وديوان حازم القرطاجني.

عصر بني الاحمر ك: ديوان أبي حيان، وشعر ابن الجياب وديوان ابن خاتمة، وديوان ابن الخطيب، وديوان ابن زمرك، وديوان يوسف الثالث، وديوان ابن فركون، وديوان عبد الكريم القيسي.

٢. **كتب التراجم والطبقات.** وأهمها: كتاب خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الاصفهاني . وكتاب الحلة السيراء في أشعار الامراء، وتحفة القادم لابن الابار ، والمقتضب من تحفة القادم. وكتب ابن سعيد المغربي وأهمها: المغرب في حلى المغرب، ورايات الميرزين وغايات المميزين والغصون اليانعة والمقتطف من أزاهير الطرف وأختصارالقدح المعلى.

وكتب لسان الدين بن الخطيب، وأهمها: الاحاطة في اخبار غرناطة، وريحانة الكتاب ونجعة المنتاب ونفاضة الجراب عن غلالة الاغتراب والسحر والشعر، والكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة.

وكتابا المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وأزهار الرياض في أخبار القاضي عياض!

ولم نغفل الأشارة إلى الكتب التي كان اصحابها أكثر عناية بأهل المشرق، فما أن وجدنا نصا شعريا أو ترجمة لشخصية أندلسية أو معركة خاضها المسلمون هناك إلا وقفنا عندها وأستشهدنا بها وأحلنا على مصدرها. ومن أهم هذه الكتب: وفيات الاعيان لابن خلكان. والوافي بالوفيات ونكت الهميان للصفدي. وفوات الوفيات لأبن شاكر الكتبي. وصبح الاعشى في صناعة الانشا للقلقشندي. وشذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي.

٣- **كتب التأريخ.** وأهمها: تأريخ المن بالأمامة على المستضعفين، لابن صاحب الصلاة. والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي، والذيل والتكملة- بأجزائه وأسفاره- لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك المراكشي. وأعمال

الاعلام واللمعة البدرية في الدولة النصرية، وشرح رقم الحلل في نظم الدول لسان الدين ابن الخطيب.

٤- كتب الجغرافيا ومعاجم البلدان، ومنها: معجم البلدان لياقوت الحموي. ورحلة ابن بطوطة. لابن بطوطة. ومشاهدات لسان الدين بن الخطيب، ومعيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار. لأبن الخطيب. والروض المعطار في خبر الاقطار للحميري. ووصف افريقيا. لليون الافريقي.

٥- الكتب والمراجع الحديثة: وهي كثيرة أكبر من أن تعد وتحصى في مثل هذا التعريف الموجز. ومتنوعة فمنها ما أعتنى بمكان محدد كالمكان الطبيعي أو المكان التاريخي أو المكان الاجتماعي أو المكان الديني أو المكان الحضري. ومنها ما أختص بشاعر معين ترك شعره أهمية في تدوين أحداث عصره المختلفة، ومثل الظاهرة المكانية في شعره افضل تمثيل، كالأعمى التطيلي، أو ابن حمديس، أو ابن خفاجة او ابن مرج الكحل أو ابن زمرك وغيرهم. ومن هذه الدراسات ما أختص بحقبة معينة من تأريخ الاندلس وأدبها، كتأريخ الادب الاندلسي- عصر الطوائف والمرابطين- للدكتور إحسان عباس. وعصر الدول والامارات للدكتور شوقي ضيف والادب الاندلسي في عهد الموحدين للدكتور حكمة الاوسي، والشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس للدكتور محمد مجيد السعيد، والقصيدة الاندلسية في القرن الثامن الهجري للدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، والشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري للدكتور قاسم الحسيني. ومن هذه الدراسات ما اختص بظاهرة فنية من ظواهر البناء الفني للنص الشعري الاندلسي، كمقدمة القصيدة العربية في الشعر الاندلسي للدكتورة هدى شوكة بهنام، والقصص القرأني في الشعر الاندلسي للدكتور احمد حاجم الربيعي.

ومما هو داخل في مضمون هذه الدراسات الحديثة؛ الرسائل والاطاريح الجامعية غير المنشورة. فقد كانت من التنوع بمثل ما قدمنا عنه في الكتاب المطبوع، وربما تكون قد أهتمت بالمكان وانماطه وسبل معالجته موضوعاً وفناً أكثر من سابقتها. من المصادر والمراجع ومما هو مرتبط بهذه الدراسات الحديثة ايضاً: البحوث والمقالات التي لا تقل أهمية عن غيرها إذ أن فيها الشعر المجموع، والدراسة الموضوعية الجادة، والأطر الفنية الجديدة لدراسة الشعر، ومعرفة مقوماته الفنية والنفسية والثقافية.

وفي أغلب هذه المصادر أعتمدنا الطبعات المحققة تحقيقاً علمياً متداولاً بين أيدي الباحثين، ولجأنا الى الطبعات الجديدة لهذه التحقيقات- إن وجدت- ما أستطعنا، وما بلغنا الىٰ ذلك سبيلا.

أما عن الصعوبات التي واجهت البحث فهي إما تتعلق بالباحث، وإما تتعلق بالبحث نفسه.

فبالنسبة لما يتعلق بالبحث فما واجهتنا تلك الصعوبات الكبيرة. فأهم مصاعب البحث هي مصادره ومراجعه. وهذه المصادر والمراجع كانت متوفرة وكثيرة فلم أجد مشكلة واحدة أعاقت العثور على مصدر نادر أو مرجع حديث. ولذا فأنا لست صاحب عذر إذا قصر البحث عن أستنطاق مصدر أو ديوان أو مقالة أو رسالة جامعية، اللهم إلا تلك التي لم أستطع الحصول عليها بعد الحرب أو تلك نُشرت حديثا ولما تدخل البلاد الىٰ الآن.

وبالنسبة لمصاعب الباحث ومشاقه، فكمنت في ما تعرض له بلدي العراق من هجمة حاقدة استهدفت أهله وثرواته العلمية قبل ثرواته المادية، وهي مصائب أرّقت الباحث-كأيّ عراقي- وتركته في هموم ومشاغل شغلته علىٰ حساب همومه ومشاغله العلمية.

وأخيراً: فأرجو ان يكون هذا الجهد العلمي قد غطىٰ المكان بأنواعه ودلالاته، وأسهم في فتح باب جديد لدراسات أخرىٰ تتناول الشعر الأندلسي علىٰ وفق المفردات الحديثة التي تظهر في دراسة الشعر الحديث. سائلاً المولىٰ القدير- سبحانه وتعالى- أن يجعل هذا الأثر العلمي في ميزان حسنات من سعىٰ لخدمته، بكلمة أو أشارة أو نصيحة أو دعاء. واللّه أسأل أن يحفظ بلدي العزيز الكبير العراق من كل سوء ومكروه، وأن يحفظ أهله جميعا من الشمال الىٰ الجنوب، من الشرق الىٰ الغرب، وأن يعينهم لخدمة العلم فيه، وبنائه علىٰ وفق ما يحب ويرضىٰ لعباده الصالحين المؤمنين، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

الباحث: محمد عويد محمد الساير

بغداد المحروسة- ١٤/ ربيع الاول/١٤٢٥هـ- ٤/٥/٢٠٠٤م

obeikandl.com

التمهيد.

أضاءات في أهمية المكان وأنماطه ووسائل تشكيله.

أضاءة أولى: أهمية المكان.

أضاءة ثانية: أنساق المكان وأنماطه.

أضاءة ثالثة: وسائل تشكيل المكان في النص الشعري.

أضاءة أخيرة: التقسيم الادبي لدراسة المكان(النظرية الاقليمية في الأدب).

obeikandl.com

أضاءة أولى: أهمية المكان.

تنبع أهمية المكان من المقولة التي تذهب بالقول الى أن أفعال الخلق تقع في زمان ومكان[١]. ومن هذه المقولة يمكننا أن نستشف بصدق ووعي أن فكرة وجود الكائن الحي في مكان ما فكرة قديمة تؤيدها الآيات القرآنية الكريمة التى تواترت على وجود الأنسان في مكان معين يعد أساس حياته ودوامها وأستقرارها[٢]. ومن هنا فالمكان يمثل الحيز الأكبر في حياة الأنسان، ففيه يعيش، ويحتمي، وإليه يعود بعد الموت، فنحن لا يُمكن أن نتصور وجودنا بلا مكان، بل؛ وحتى أن هذا الكون الفسيح بنفسه، الكبير بحجمه لا بد له من مكان يحتويه[٣].

والشاعر واحد من الخلق الذي يعيش في مكان، يؤثر في تشكيله وبنائه، ويؤثر هذا المكان في أدق تفاصيل حياة الشاعر ، وأهم تشعباتها فلا جرم أن نجد أنعكاسات كثيرة ودلالات مختلفة لهذا التأثر والتأثير بين الأنسان الشاعر ومكانه.

لقد أدرك دارسو الأدب وناقدوه ماللمكان من أهمية بارزة وحضور مشرق على مساحة النص الأدبي فأولوه عناية خاصة ورعاية كبيرة مما يمكن أن نعده تغييراً تنظيرياً لمصطلح نقدي، قامت على مفهومه وأنماطه دراسات كثيرة[٤]،بعد أن كان

---

(١) يُنظر: الأزمنة والأمكنة: أبو على أحمد بن محمد بن الحسين المرزوقي(ت٤٢١هـ)، حيدر آباد الدكن، ١٣٣٢هـ، ١/١٣٩.

(٢) يُنظر: سورة البقرة، الآيات(٣٠-٣٨)؛ ويُنظر: الزمان والمكان في قصة العهد القديم: احمد عبد اللطيف حماد، مجلة عالم الفكر،الكويت ١-٣ ، ١٩٨٥،ص٦٥.

(٣) يُنظر: الزمان والمكان في شعر العصر العباسي الأول(١٣٢هـ-٢٣٢هـ): غنى صكبان سلمان، (أطروحة دكتوراه) كلية التربية(ابن رشد)- جامعة بغداد، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م،ص٥٦.

(٤) من هذه الدراسات: المكان في الشعر العربي قبل الأسلام: حيدر لازم مطلك(رسالة ماجستير)، المكان في الشعر العراقي الحديث(١٩٦٨-١٩٨٠): سعود احمد يونس(أطروحة دكتوراه)، المكان في الشعر المهجري: حكيم صبري عبد الله(رسالة ماجستير)، المكان في روايات عبد الرحمن مجيد الربيعي: حسن سالم هندي،(رسالة ماجستير)، المكان ودلالاته في شعر السياب: محمد طالب غالب البجاري،(رسالة ماجستير)، دلالة المكان في شعر السياب: لمى محمد يونس،(رسالة ماجستير)، المكان في شعر الشريف الرضي-دراسة فنية-: زينب عبد الكريم حمزة،(رسالة ماجستير). ومن البحوث: دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن-

مصطلحا "ميثولوجياً " فلسفياً قديماً[1].

إن الانشغال بفكرة المكان وأثرها الجمالي والفلسفي أنشغالاً قديما، ربما يعود بادئ ذي بدء إلى إشارة أرسطو(٣٨٤-٣٢١ق.م) في كتابه(فن الشعر) الذي يشير إلى أهمية المنظر بوصفه احد العناصر الستة التي تتكون فيها المأساة، وجاء تسلسله بعد القصة والاخلاق والعبارة والفكر فالمنظر، ثم الغناء[2].

أما على صعيد الدراسات الحديثة- لاسيما الادبية منها- فقد يعود ظهور هذا الاهتمام المتزايد بالمكان وأنماطه ودلالاته الى ظهور كتاب جماليات المكان لمؤلفه جاستون باشلار(فكان النافذة التي أطل منها الدرس النقدي العربي الحديث على مفاهيم جديدة للمكان، وكان انطلاقة الناقد العربي الذي أضفى على تلك المفاهيم رؤى جديدة تنسجم الى حد كبير مع ما وجده من مادة ثرّة في أدبنا العربي كان المكان فيها شاخصا متميزاً، كما أنها تنسجم في الوقت ذاته مع طبيعة المكان وبنائه الفني في العمل الأدبي)[3]. على أن هذه الدراسة الظاهراتية أبقت على الأسس المادية للمكان ووقفت فيما وقفت عليه على تجليات المكان الظاهرة منطلقة من البيت مصدر المحبة والألفة نحو العالم المحسوس والكون(الفضاء الخارجي)، وتركت أشياء مهمة أهمها الغوص

=منيف: د. محمد علي شوابكة، مجلة ابحاث اليرموك، الاردن، مج٩،ع٢،١٩٩١. جماليات المكان في شعر عرار: تركي المغيض، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات الاردن ، مج٤،ع٢،١٩٨٩.

(١) يُنظر: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا: حسن مجيد العبيدي، دار الشؤون الثقافية-بغداد،١٩٨٧. المعجم الفلسفي: د. جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني-بيروت،١٩٨٢،٢/٤١٢-٤١٣.

والميثولوجيا: مجموعة الاساطير، أو مجموعة القصص الخاصة بتفسير الكون وأسرار الحياة والموت عند شعب ما عن طريق تجسيد المعاني، وقوى الطبيعة وأحداث الحياة في قصص تتصل بالآلهة وانصافها وابطالها. يُنظر: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان-بيروت، ط٢،١٩٨٤،٣٩٨.

(٢) يُنظر: فن الشعر: ترجمة:د. محمد شكري عياد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر-القاهرة،١٩٧١،ص٥٠. ويُنظر عن أثر هذا التقسيم في النص المسرحي: المكان في النص المسرحي العراقي: منصور نعمان الدليمي (أطروحة دكتوراه). كلية الفنون الجميلة في جامعة بغداد، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م،ص١.

(٣) المكان ودلالاته في القرآن الكريم- دراسة موضوعية فنية-: علي عبد محيي،(رسالة ماجستير). كلية التربية في جامعة البصرة،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م،ص١٠.

وصدر كتاب باشلار في بغداد بترجمة غالب هلسا،١٩٨٠.

عميقاً في دلالات النص الأدبي ومعانيه المجازية التي يرمي هذا النص استكناه غموضها، وبيان أثرها في المتلقي.

أعقبت تلك الدراسة دراسات أخرى اهتمت بالمكان وتتبعت أنساقه وأنماطه ودلالاته، وكشفت عن وافرٍ من النتائج الموضوعية والفكرية والفنية التي تفيد في تعقب مناكل النص الأدبي وإظهار سماتها وخصائصها، والتي يترك المكان فيها أثرا مشرّفاً، ويحتل في بنيتها مفصلا حيويا، كما ذكرنا آنفاً.

والملاحظ على أغلب هذه الدراسات أنها أهتمت بالرواية، وبالتالي فإنها عالجت المكان من حيث علاقته بعناصر السرد، فكان الحديث يدور عن المكان والشخصية، المكان والحوار، المكان والاحداث، وكان الراوي يتجه نحو توظيف المكان عندما تحتله الشخصية أو تقيم فيه، أو عندما يجري حوار طارئ بين هذه الشخصية والشخصيات الأخرى داخل النص الأدبي.

وأحيانا يكون المكان هو المحور البارز للأحداث التي تكشف عنها الرواية وتدور حولها كالامكنة الحربية والأمكنة الأليفة كالبيت والمدرسة والجامعة، والاحياء الشعبية كالحي والحارة و(الحتّه).. وما شابه ذلك. أما في النص الشعري فهو ينزع الى المجاز، ويميل- في جوانب منه- الى الغموض وبذا ربما تنتج مسافات أخرى بين منشئه ومتلقيه ومن هنا فإن الناقد الحصيف هو من يتولّى مهمة التقريب بين هذه المسافات ليجعلها تجربة معاشة لدى المتلقي يتأثر بها مضمونا وفكراً، فيدور في فلكها، ويقع في أسر نتائجها.

وعن أهمية المكان، يقول الناقد ياسين النصير- الذي يعد من منظري دراسة المكان الأول-: (فالمكان يعني بدءاً تدوين التأريخ الانساني، والمكان يعني الارتباط الجذري بفعل الكينونة لاداء الطقوس اليومية للعيش، للوجود، لفهم الحقائق الصغيرة، لبناء الروح، للتراكيب المعقدة والخفية، لصياغة المشروع الانساني ضمن الافعال المبهمة، لتنشئة المخيلة وهي تدمج كلية الحياة في صورة مكانية)[1]. وبذا يصبح المكان منطلقاً تأريخياً، وحلاً مسبقا لحقائق الحياة اليومية التي يعيشها الأنسان من جوانبها المتعددة، فهو(لا يقتصر على كونه أبعاداً هندسية وحجوماً، ولكنه فضلا عن ذلك نظم من العلاقات المجردة يُستخرج من الاشياء الملموسة بقدر ما يستمد من التجريد الذهني

(١) أشكالية المكان في النص الادبي: دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ١٩٨٦،ص٣٩٥-٣٩٦.

أو الذهني المجرد)[1]، بل؛ وإن(اظفاء صفات مكانية على الافكار المجردة يساعد على تجسيدها، وتستخدم التعبيرات المكانية بالتبادل مع المجرد مما يقربه من الأفهام. وينطبق هذا التجسيد المكاني على العديد من المنظومات الأجتماعية والدينية والسياسية والأخلاقية والزمنية، بل؛ إن هذا التبادل بين الصور الذهنية والمكانية أمتدّ على التصاق معانٍ أخلاقية بالأحداث المكانية نابعة من حضارة المجتمع وثقافته)[2]. ومن هذا المنطلق يحوي التجسيد المكاني دلالات اجتماعية ودينية وسياسية، ملتصقة بذات الشاعر، ومعبرة عن مجتمعه وفكره الحضري والثقافي، ومن هنا تتأتى أهمية المكان في النص الشعري بهذه الدلالات المختلفة.

أضاءة ثانية:أنساق المكان وأنماطه.

لقد تعددت أنساق المكان وأنماطه عند الدارسين، فلم تكن النظرة واحدة بخصوص نمط معين أو أنماط متعددة يؤول اليها النص الأدبي، بل كانت فكرة النص ودلالاته متنوعة بتنوع أغراضه، وبتنوع مؤثراته الداخلية والخارجية، فالمبدع إنما يمثّل فكرا معينا تدفعه لصياغة هذا الفكر جنساً أدبياً، عوامل عدّة تعود أغلبها إلى أثر بيئته ومجتمعه وظروف العيش فيهما، والمكان كواحد من تلك المؤثرات على حياة الاديب وبالتالي في أدبه ونتاجه، حمل دلالات مختلفة وضم أنماطا متباينة بحكمها في أختلافها وتباينها، طبيعة النص الادبي، وعصوره المختلفة ومن ثم نظرة الاديب أو الشاعر الى المكان ومحاولة فهمه وبالتالي انعكاسه في ذلك النتاج تبعاً لطبيعة هذا الفهم، ولذلك كانت الدراسات النقدية للمكان تحمل بين طياتها تقسيمات وعنوانات عدة لأنساقه وأنماطه.

ومن تقسيمات المكان قَسّم الناقد ياسين النصير المكان الى نوعين رئيسين:

أ- **المكان الموضوعي:** (وتتلخص خصائصه في أنه يبني تكويناته من الحياة الأجتماعية، وتستطيع أن تؤثر عليه بما يتماثله إجتماعيا وواقعيا أحياناً)[3].

---

(١) الشعر ومتغيرات المرحلة؛ جماليات المكان: اعتدال عثمان، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد،١٩٨٦،ص٥١.

(٢) بناء الرواية-دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ-: د. سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٤،ص٧٥.

(٣) الرواية والمكان: ياسين النصير، بغداد، الموسوعة الصغيرة ١٩٨٠،١/٢٧.

ب- المكان المفترض: (وهو ابن المخيلة البحت، الذي تتشكل اجزاؤه وفق منظور مفترض وهو قد يستمد بعض خصائصه من الواقع إلا أنه غير محدد، وغير واضح المعالم)[1].

أما الناقد غالب هلسا فقسم المكان على ثلاثة عنوانات هي:

١- **المكان المجازي:** وأراد به أنه مكان غير مؤكد: إنما هو أقرب الى الافتراض، ويدخل ضمن هذا النمط من المكان المكان التأريخي أنطلاقا من نعوت مجردة وصفات مفترضة يأتي بها الراوي أو الشاعر كالحديث عن الفخامة والجمال والفقر والبؤس وغيرها.

٢- **المكان الهندسي:** وهو المكان الذي يعرضه الأديب-الراوي أو الشاعر- من خلال وصف ابعاده الخارجية بدقة بصرية.

ويستطرد الناقد هلسا في الحديث عن هذا المكان وميزاته فيذهب الى ان الاتقان في وصف هذا المكان يحرم القارئ من استخدام خياله ، وبذا فهو يقتل الخيال ويتحول المكان فيه الى درس في الهندسة .

٣- **المكان بوصفه تجربة معاشة:** وهو مكان عاشه المؤلف، وبعد الابتعاد عنه أخذ يعيش فيه بالخيال، فأثر في ادبه[2].وعن هذا المكان يقول باشلار:(المكان الممسوك بواسطة الخيال لن يظل مكانا محايدا، خاضعا لقياسات وتقييم مساح الأراضي. لقد عيش فيه، لا بشكل وضعي، بل؛ بكل ماللخيال من تحيُّز. وهي بشكل خاص، في الغالب مركز اجتذاب دائم. وذلك، لأنه يركز الوجود في حدود تحميه)[3].

وأما تقسيمات بروب للمكان: فكانت ما يلي:

١- **المكان الاصل:** ويمثل عادة مسقط رأس المؤلف أو محل أقامته وعائلته.

٢- **المكان الوقتي أو العرضي:** وهو المكان الذي يتبلور فيه الاختبار الترشيحي، (المؤهل للمكان المركزي).

---

(١)الرواية والمكان: ٢٧/١. وينظر: المكان ودلالاته في شعر السياب، ص١٦-١١٢، الزمان والمكان في شعر العصر العباسي الاول، ص١٣٩-١٦٧، ويطلق على المكان المتخيل "اليوتيبي".

(٢) الرواية العربية-واقع وأفاق-: مجموعة باحثين، المكان في الرواية العربية، دار ابن رشد للطباعة والنشر- بيروت، ط١، ١٩٨١؛ ص٢١٧-٢٢٤.

(٣) جماليات المكان: ص٢٢٧.

٣- المكان المركزي: وهو المكان الذي يحصل فيه الاختبار الرئيسي أو الانجاز[١].

في حين قسم د. شجاع العاني المكان على أربعة أصناف مفيداً من ثنائيته أو من طريقة عرض المؤلف له، أو من ألاتكاء على الموروث التأريخي في تجسيده داخل النص الأدبي:

أ- المكان المسرحي: ويتميز بأنه مكان مجازي أو أفتراضي، كذلك يتميز بأنه سلبي، وهو تابع للاحداث والشخصيات وأنه مجرد إطار لهما، لا يتفاعل معهما ولا يؤثر في صياغة الحبكة الروائية.

ب- المكان التأريخي: وهو المكان الذي لا ينفصل عن الزمان، مما قد يوحي بأننا نعتقد بأن ثمة مكاناً له علاقة بالزمان وآخر لا علاقة له.

جـ- المكان الأليف: ونعني به، كل مكان يثير الاحساس بالألفة، وكل مكان عشنا فيه، وشعرنا فيه بالدفء والحماية بحيث يشكل هذا المكان مادة لذكرياتنا.

د- المكان المعادي: وهو كل مكان يثير الاحساس بالضيق والعداء لدى البشر، ويتمثل في السجون والمعتقلات وغيرها[٢].

ومن تقسيمات المكان الاخرى، تقسيم الباحث سعود احمد يونس، إذ أرتأى تقسيم المكان على ثلاثة أنمطة هي:

١- المكان الواقعي: وتناول فيه؛ الأمكنة الطبيعية، والأمكنة الأصطناعية، والاتجاهات والمسافات.

٢- اماكن العبور: وتناول فيه؛ الشواطئ والسواحل، والمحطات، وحواجز العبور الأصطناعية والطبيعية، ووسائلها.

---

(١) مدخل الى نظرية القصة-تحليلا وتطبيقا-: سمير المرزوقي، جميل شاكر، دار الشؤون الثقافية- بغداد، ١٩٨٦، ص٥٨-٥٩.

(٢) البناء الفني في الرواية العربية في العراق- الوصف وبناء المكان-: دار الشؤون الثقافية- بغداد، ط١، ٢٠٠٠، ٢/٣١-١٥٦.

واطلق د. إبراهيم جنداري على المكان المسرحي المكان الدرامي، يُنظر: الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ط١، ٢٠٠١، ص٢٦٠. وهو يماثل المكان المتخيل في النص الشعري.

٣- **المكان التاريخي:** وتناول فيه؛ المكان الاسطوري والمكان الديني والمكان الحضري[١].

ومثلما نلحظ أن هذا التقسيم إنما فرضته طبيعة النصوص الأدبية، والدقة التأريخية التي درسها الباحث.

وفي دراسة المكان في القصّ القرآني، قسم الباحث جاسم شاهين كاظم المكان الى:

١- **المكان الواقعي:** وشمل: المكان الطبيعي، والمكان الاصطناعي، والاتجاهات والمسافات.

٢- **العتبة" الفضاء الواصل" ؛** وشمل: وسائل العبور، الحواجز، الفضاءات الواصلة.

٣- **الثنائيات:** وشمل: ثنائية المتناهي في الكبر والمتناهي في الصغر، ثنائية المغلق والمفتوح، ثنائية الأليف والمعادي[٢].

وعلى ما يبدو من التقسيمات أن الباحث وقع في بعض الخلط بين العنوانات، لا سيما بين الفصلين الأول والثاني. إذ أن أماكن العبور أو الحواجز من الممكن أن تضم الى المكان الاصطناعي، كما أن الاتجاهات والمسافات في الفصل الاول موحيات بالمكان وليست أمكنة بحد ذاتها. على أننا لا ننسى أن دراسة الباحث كانت تدور حول القص القرآني وهي دراسة تنصب على اهمية المكان من خلال عناصر السرد القصصي الاخرى، وبذا قد لا تشكل مثل هذه المسميات أمكنة واضحة، أو تؤثر في بنية النص القرآني السردي، كتأثيرها في بنية النص الشعري أو النص الروائي.

وهناك بعض الدراسات قد أهتمت بدراسة دلالات المكان على النص الشعري[٣].

ومنها دراسة الباحثة لمى محمد يونس القيسي التي أهتمت بدراسة دلالات المكان في مراحل عمرية مختلفة في شعر السياب [٤]. معتمدة على الثنائيات في اغلب تقسيمها:

---

(١) المكان في الشعر العراقي الحديث: الاول(ص١٩-٧٧)،الثاني(ص٨٠-١٣٧)،الثالث(ص١٣٨-١٧٨).

(٢) المكان في القصص القرآني-دراسة فنية-: (رسالة ماجستير)، كلية الاداب في جامعة القادسية،٢٠٠١، الاول(ص١٩-٧٠)، الثاني(ص٧٣-١١١)، الثالث(ص١١٢-١٤٣).

(٣) يُنظر: المكان في الشعر العربي قبل الاسلام: (ص٦٣-٩٩)، وركز فيها الدلالات الاجتماعية والحضرية للمكان. المكان في الشعر المهجري: الدلالة البسيطة(ص٢٣-٦٣)،الدلالة المركبة(ص٦٤-٧١).

(٤) هذه المراحل هي: المرحلة الرومانسية، المرحلة الواقعية، المرحلة المأساوية.

١- المكان العالي والمكان المنخفض.

٢- المكان الساكن والمكان المتحرك.

٣- المكان المغلق والمكان المفتوح.

٤- اماكن العتبة والوصول.

٥- المكان الأليف والمكان المعادي.

٦- أماكن أُخرى[١].

طامحة من هذا التقسيم بيان أثر هذه الدلالات في نص السياب الشعري في المراحل العمرية التي عاشها.

وبعض الباحثين أعتمد على الثنائيات في دراسته للمكان، فقسمها:

١. **المكان الاليف والمكان المعادي.**

٢. **المكان الواقعي والمكان المتخيل.**

٣. **المكان التأريخي والمكان الآني. وقصد بالآني:** المكان الذي تحيا فيه الشخصيات في راهنها الذي تتحدث فيه.

٤. **المكان المسرحي والمكان الكوني. وقصد بالكوني:** هو مايحيط بالشخصية أثناء تجوالها وبحثها عن المكان الآمن[٢].

ولاقت هذه التقسيمات المعتمدة على ثنائيات المكان صدىً طيبا عند بعض الباحثين فأثرها في تقسيمه للمكان اثناء دراسته له[٣].

في حين أبعدت دراسات أخرى للمكان عن هذا التقليد بتقسيمات اخرى، كاشفة عن عناصر جديدة لانماط المكان داخل النص الأدبي، وتعدد دلالاتها واختلافها مع البناء العام لهذا النص. ومنها دراسة الباحث علي عبد محيي للنص القرآني الكريم؛ إذ تنوعت

---

(١) دلالة المكان في شعر السياب: دلالة هذه الاماكن في المرحلة الرومانسية،(ص٤-١٠٥).

دلالة هذه الاماكن في المرحلة الواقعية،(ص١٠٦-٢٢٧).

دلالة هذه الاماكن في المرحلة المأساوية،(ص٢٢٨-٣٤٦).

(٢) الفضاء الروائي عند جبرا ابراهيم جبرا: الاول (٢٣٦-٢٤٤)؛ الثاني (ص٢٤٥-٢٥٥)؛ الثالث (ص٢٥٦-٢٥٩)؛ الرابع (ص٢٦٠-٢٦٦).

(٣) ينظر: المكان في روايات عبد الرحمن مجيد الربيعي:ثنائية المكان الاليف والمكان المعادي: (ص٢٣-٣٤). ثنائية المكان المفتوح والمكان المغلق: (ص٣٥-٥١).

ثنائية المكان التأريخي والمكان الآني (المفترض): (ص٥٢-٥٨).

دلالاته ودوائره بحسب معطيات الاية الكريمة وأثرها في السياق العام للسورة[1]. ومنها دراسة الباحثة زينب عبد الكريم لقصيدة الشريف الرضي (ت٤٠٦)هـ إذ تطلب الامر أن تأتي بتقسيم آخر للمكان فكان بحسب:

١. **الاماكن الواسعة:** وشمل: السماء والارض والصحراء والجبال وعالم المياه.

٢. **المكان الانساني وغيره:** وآحتوى اماكن السكن في البادية، والخيام.. واماكن الحضر كالبيت والدار وغيرها[2]. متقصيّة رموز المكان وآشارته في قصائد هذا الشاعر الكبير.

في كل ماتقدم، وآمل أن لانشمَّ منه رائحة استطراد متعبة، لايحيد القول عن مسألتين مهمتين:

الاولى: هي ان كل انواع المكان وانماطه المارّة الذكر انما تنضوي تحت نمطين رئيسيين لاغيرهما؛ هما: المكان الموضوعي (الواقعي)؛ والمكان الخيالي (المفترض). فكل دلالات المكان ورموزه وأشارته نجد لها تفسيراً واقعياً ملموساً؛ والإتيان عن الواقع لتدخل ضمن الخيال والافتراض.

والأخرى؛ إن النص (القرآني الكريم، الروائي، الشعري...)؛ هو الحكم الاول والفصل الاخير في مسألة آستكناه دلالات المكان أو محاولة فكّ رموزه المختلفة؛ ولذا كلما قمنا بتحليل نصوص جديدة أو وضعنا اليد على نصوص حديثة (في البنية والتركيب)- كقصيدة النثر-، كلما برزت على النص دلالات وانماط أخرى للمكان.

اضاءة ثالثة: وسائل تشكيل المكان في النص الشعري.

بما أن المكان في الشعر ينأى عن الوضوح والمباشرة[3]؛ فلابُدّ لنا من التعرف على الوسائل التي توصلنا الى هذا الوضوح، بحيث يغدو المكان ذا أثر فعال في النص الشعري، ويبرّز دلالات معينة من شأنها إثارة المتلقي وشدّه نحو هذا الأثر.

---

(١) ينظر: المكان ودلالاته في القرآن الكريم، يُلاحظ فيها القارئ تقسيمات متنوعة ومتشعبة تحوي اصناف المكان المتخيل والمغيّب، والامكنة الحضرية وغيرها. ولانقصد أن النصّ القرآني نص ادبي، ولكن فيه سمات هذا النص كالصورة والصوت... الخ.

(٢) ينظر: المكان في شعر الشريف الرضي: الاول (ص٣-٢٦)، الثاني (ص٢٧-٧٧).

(٣) ينظر: المكان في روايات عبد الرحمن مجيد الربيعي: ص٨.

أجتماعياً- موضوعياً-، فلاأدلّ على اهتمام العربي والشاعر -خاصة- بالمكان منذ عصر ماقبل الاسلام، فقد (كانت علاقة الانسان العربي قبل الاسلام بأماكنه علاقة وثيقة، إذ قامت حياته على الرعي والتجارة بالدرجة الاساس الى الوجود، وفي ذلك الانتفاع مزية وفضيلة)[1]. والشاعر جزءٌ من ذاك المجتمع المتأثر بما يحيط به من ظروف واجواء يترك المكان أثراً مهما فيها، تأثر بهذا الاثر (المكان)، وظهر هذا التأثر جلياً في الكم الهائل للأمكنة التي وردت في شعر هذا العصر، على أختلاف تلك الامكنة من طبيعية وسياسية واجتماعية، وعلى تباينها في الأستخدام أو الورود داخل النص الادبي- الشعري- من حيث البنية والتركيب؛ فقد تأتي هذه الامكنة مع المقدمة أو مع الرحلة أو الغرض، أو تختص بالمقطعات الصغيرة لظروف أنية وقتية.

فالمقدمة الطللية[2] ذلك الرمز الخالد، والمفصل الحيوي في بنية القصيدة الجاهلية، إنما هو تجسيد حي للمكان؛ ومن ثمّ لدلالته النفسية التي عانى منها الشاعر من هجر وبُعد من قبل الحبيبة أو القبيلة. وقد أدى التحول المكاني للشاعر إلى جعل الطلل شاهداً شاخصاً، وموقفاً حاضراً للمكان في القصائد الكُثر التي ورد فيها ذكر الطلل واستذكار الديار والبكاء عليها، على أن هذا البكاء (ليس عاطفة خاصة، ولاتجربة وجدانية ذاتية، بل؛ لحظة حزينة املاها على الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي إليها بالحرمان من الوطن المكاني، والحنين إلى الاستقرار والمقام الثابت الذي يستطيع فيه أن يقيم بيتاً، يُخلّد فيه ذكرياته ويسترجع ملاعب صباه)[3].

ومن خلال الرحلة -الظعائن وغيرها- وقف الشاعر الجاهلي على المكان بوصفه مفردة أساسية سار عليها في إبراز قصته ورحلته للممدوح أو للحبيبة أو للقبيلة، فالطريق حافل بالمخاطر والأعباء، ولذا يضفي الشاعر على ناقته -كوسيلته للرحلة

---

(١) المكان ودلالاته في القرآن الكريم: ص١٨.

(٢) للمزيد عن لوحة الطلل في مقدمة القصيدة؛ ينظر: شعر الوقوف على الاطلال من الجاهلية الى نهاية القرن الثالث الهجري- دراسة تحليلية-: د. عزة حسن، دمشق، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م، ص٤٥. والطبيعة في الشعر الجاهلي: د. نوري حمودي القيسي، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط١، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، ص٢٥٠-٢٦٩، وشعر أوس وروائه الجاهليين -دراسة تحليلية-: د. محمود عبد الله الجادر، دار الرسالة للطباعة والنشر- بغداد، ١٩٧٩، في صفحات كثيرة، مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي: د. حسين عطوان، دار الجيل- بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧؛ ص٧٥-٩٣.

(٣) الطبيعة في الشعر الجاهلي: ص٢٥٣.

عادةً- صفات القوة والمنعة والفخامة لتخطي تلك الصعاب والمخاطر بسلام، وبذا تكون رحلة الشاعر تجسيداً لقصة الحياة الانسانية ومصاعبها الكثيرة خلال العصر الذي عاش فيه، ويكون المكان في هذه الرحلة كياناً فاعلاً يمكننا أن نتلمس حضوره واستمراريته بما يمتلكه من قوة وتأثير في عناصر البناء الفني للنص الشعري[1].

إن مايقال عن هذا العصر- الجاهلي- يمكن أن يُقال عن العصور اللاحقة التي مرّ فيها الادب كالعصر الاسلامي والاموي والعصر العباسي...: إذ ظلّ هذا التقليد للقصيدة الجاهلية لاسيما هذه اللوحات؛ من طلل ورحلة وغرض، شائعاً ومتبعاً في تلك العصور، بل؛ وعُدّت القصيدة الجاهلية في بنيتها ولوحاتها الانموذج الذي يُحتذى من قبل النقاد القدامى[2]؛ وبذا ظل المكان -بهذه اللوحات- بفرض طبيعته وأهميته في بنية النص، وأغراضه.

إنّ ماقدمناه عن لوحة الطلل ومظاهرها، ورحلة الظعائن وأثرها في تشكيل المكان عند الشاعر الجاهلي قد نجد لها صدىً في بعض مناحي الشعر الأندلسي[3]. ولكن هذه المناحي أوضحت دلالات جديدة صبها الشاعر الأندلسي في بوتقة ابداعه الذي يتميز بدلالات ورموز جديدة وفقاً للبيئة التي عاشها هذا الشاعر ومانبثقت عنها من أحداث طوّرت مفهوم هذا الابداع أنسجاماً ونفسية منشئ النص وثقافته.

ومن وسائل تشكيل المكان في الشعر لاسيما الشعر الاندلسي -الذي سنخصُّ الحديث عنه-، المحور الموضوعي البارز فيه، وأقصد به الغربة عن الوطن، والحنين إليه، إذ يعبر الشاعر من خلاله عن عمق حسي المكاني بعد معاناة الاقتلاع والغربة، إذ يحاول أن يعيش وطناً داخلياً يتمدد في كيانه عن طريق الخيال يعوض فيه عن غياب فكرة الوطن في الواقع[4]، والنص الاندلسي يكفينا مؤونة البحث في خصائص غرض الغربة والحنين، واستكناه معاناة الشاعر الحقيقية التي برزت إثر هذه الغربة او التي

---

(١) ينظر: المكان في الشعر العربي قبل الاسلام: ص٣١٣.

(٢) يقول ابن قتيبة : (وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الاقسام، فيقف على منزل عامر أو يبكي عند مشيّد البنيان، لأن المتقدمين وقفوا على المنزل الدائر، أو الرسم العافي، أو يرحل على حمار أو بغل ويصفهما؛ لأن المتقدمين رحلوا على الناقة والبعير...). الشعر والشعراء: ٢٢/١.

(٣) ينظر: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الاندلسي- دراسة موضوعية فنية: د. هدى شوكة بسيناي، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ط ، ٢٠٠١م، ص١٣-٢١.

(٤) ينظر: جماليات المكان: (اعتدال عثمان) ص٥٢.

تولدت عن هجرة طارئة فرضتها ظروف الفتن والحروب التي عانى منها ذلك الصقع البهي، وتلك الطبيعة الهانئة، التي تحولت -في حقب من عمرها- الى أرض دماء، ووحشة... وغربة.

ومادمتُ في طور إخضاع المكان لعوامل الفتن والحروب، وبروز اتجاه الغربة والحنين على أثرها، لابد لي من التعريج على غرض آخر تجسّد فيه المكان بصورة موضوعية، على أثر هذه الحروب والفتن إلا وهو الشعر السياسي ومنه الحربي؛ الذي ظهر هناك بسبب كثرة الفتن وشيوع الحروب، سواء أكانت تلك الحروب بين المسلمين والنصارى أم بين المسلمين أنفسهم، فقد كانت هذه الحروب موضوع دراسات كثيرة تناولت خصائصها وسماتها الفكرية والموضوعية[1]؛ ومن هنا كان الشعر الحربي وسيلة أُخرى من وسائل تشكيل المكان -موضوعياً- في القصيدة الأندلسية.

وتبرز الطبيعة اللامتناهية في الوصف كجزء من ذات الشاعر الاندلسي، فقد طارحها شجوه وبكاها في غربته، وتمثلها في مديحه ورثائه، فكانت صنوه الدائم في حلّه وترحاله، في أمنه وخوفه، فاستحقّت خلوداً للمكان الذي عاش فيه الشاعر تمثّله في وجدانه وفنه أصدق تمثيل، ولذا نهضت بمقومات كثيرة وسمات تركيبية جليلة جعلتها لبنة اساسية، ووسيلة مهمة من وسائل تشكيل المكان في الشعر الاندلسي، بأغراضه كافة، ودلالاته الجمّة[2].

لانعني بهذا ان هذه هي العناصر الوحيدة التي أسهمت في تشكيل المكان في الشعر، وفي الشعر الاندلسي على وجه الخصوص ، فهناك عناصر أخرى تماثلها التشكيل؛ ولكنها تقصر عنها في الأهمية وفي الكثرة المعتمدة على استقراء النصوص التي بين أيدينا استقراء وصفياً: ومن تلك العناصر أو الوسائل؛ الأمكنة الدينية ودلالاتها سيما على صعيد التأريخ أو الأدب الاندلسي الذي شكّل عداءً جوهرياً بين الاسلام والنصرانية. وكذلك الأمكنة الاجتماعية، التي تنطلق من البيت أساس المحبة والحنان

---

(١) من هذه الدراسات: الفتن والحروب وأثرها في الشعر الاندلسي (من سقوط الخلافة ق٥هـ، إلى سقوط غرناطة ق٩هـ): د. جمعة شيخة، المطبعة المغاربية للترجمة والنشر والاشهار، تونس-١٩٩٤ (١-٣ج). وأدب الحرب في عهد ملوك الطوائف: محمد حسين محمد ابو رقيق، (رسالة ماجستير)، وشعر الاعتبار والاتعاظ بالأحداث السياسية في الاندلس: قاسم خريبط طاهر، (رسالة ماجستير)، والحرب والسياسة وأثرهما في الشعر الاندلسي-عصر سيادة قرطبة (١٣٨-٤٢٢هـ): زينب كاظم المحنّة (رسالة ماجستير).

(٢) سنتناول أثر المكان الطبيعي ضمن المكان [البيْئي] في الفصل الاول من هذه الدراسة.

كما يقول باشلار[1]. ومن ثم الأمكنة الحضرية، ناهيك عن حضارة الأندلس قولاً، وعن كثرة مفرداتها في الشعر الأندلسي وروداً، ما يجعلها مع ما سبقها من عناصر ووسائل مؤثرة في تشكيل المكان وأنماطه لدى الشاعر الأندلسي خلال حكم الاسلام للأندلس على فتراتها الطوال.

أما على المستوى الفني، لوسائل تشكيل المكان في الشعر؛ فالمكان يتشكل من خلال اللغة، واللغة الشعرية تمتلك بدورها طبيعة مزدوجة، فلها بعد مادي فيزيائي يربط بين الالفاظ وأصولها الحسية، كما أن لها نظاماً من العلاقات التي تعتمد على التجريد الذهني[2]؛ فالنص الشعري تجسيد لغوي لكائن، وأنفتاح خارج اللغة على كينونة في الغياب هو البعد الخفي أو البنية العميقة للنص[3]. ومن هنا تتحدد علاقة المكان باللغة (في تلك البنية التوليدية التي يولدها المكان لغوياً، فلكل مكان مفردات لغوية خاصة تدل عليه ولا تقال إلا بحضرته. والمدقق في مثل هذه المفردات يجدها الهوية المعرفية للمكان، بل، ويتجاوز ذلك أحياناً الى ما يشبه العناصر المكونة له. خاصة إذا أقترن المكان بالصوت...، فكل مكان له مفردات دالة عليه، لغاه، ولون أسلوبه، وحقيقته المعرفية، وإمكاناته الرمزية. وعندما نقول في المكان الكلمة الدالة فيه أو عليه فأننا نزيح المكان من تصوره الصوري السابق، الى تصور جدلي معرفي، فيدخل في بنية أخرى، كأن تكون رواية أو قصيدة أو لوحة فنية... الخ)[4].

ويتشكل المكان في الشعر فنياً أيضاً: عن طريق الصورة الشعرية. فهي(أخطر أدوات الشعر بلا منازع)[5]. ومن هنا تأتي أهميتها في مسميات النص جميعاً كاللغة والتركيب والصوت والمكان. وما يهمنا فيها هنا هو تجسيدها للأخير، فالصورة الشعرية(تلجأ الى تحطيم الزمن(ماضٍ، وحاضر، ومستقبل)، الى جانب تحطيم

---

(١) يُنظر: جماليات المكان: ص٤٤-٤٥.

(٢) يُنظر: جماليات المكان:(أعتدال)، ص٥١.

(٣) يُنظر: في الشعرية: د. كمال أبو ديب، مؤسسة الابحاث العربية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٨٧، ص١٩.

(٤) الحد أستقصاءات في البنية المكانية للنص؛ ياسين النصير، مجلة الاقلام، ع١١و١٢، ١٩٨٩، ص١٨٧.
ويُنظر: التفسير النفسي للأدب: د. عز الدين اسماعيل، دار المعارف- القاهرة، ١٩٦٣، ص٥٥.
الشعر بين الرؤيا والتشكيل: د. عبد العزيز المقالح، دار العودة- بيروت، ١٩٨١، ص١٠٤.

(٥) تطور الشعر العربي الحديث في العراق- اتجاهات الرؤيا وجماليات النسيج-: د. علي عباس علوان، منشورات وزارة الاعلام- العراق، سلسلة الكتب الحديثة(٩١)، ١٩٧٥، ص٤١.

(المكان)، بل تحول كليهما الى الأخر)[1]، ومن ثم تبرز قدرة الصورة الشعرية بتحويل الزمان الى صورة مكانية محسوسة بالرؤية البصرية[2]، إن عملية التفتيت والانحلال هذه في مفردات النص الادبي هو ما يهمنا في عملية تشكيل المكان في النص الشعري، فالنسق في النص الشعري يتشكل ثم يكتمل ثم ينحل بعد ذلك، والمكان يتبع النسق في التشكل ثم الانحلال، واكتمال النسق وانحلاله شرطان أساسيان لفاعليته[3].

وكذلك يتشكل المكان في النص الشعري فنياً عن طريق الخيال الذي هو أحد العناصر الاربعة التي أعتمدتها نظرية الشعر عند العرب[4]، (ولعل أهم خاصية للمكان في الشعر هو أنه بعد متخيل خفي على التحليل والامساك به)[5]؛ وبذا برز المكان المتخيل أو المفترض أو اليوتيبي كنمط أساس في أنواع المكان وأصنافه التي وقفت عليها الدراسات النقدية، محاولة كشف أثار المكان عن طريق التخييل، أو ما تعمله سخيلة الشاعر في استلهامالواقع بأشكاله وصهره في بوتقة الابداع الادبي ومن ثَمّ (تحويل الامكنة الطبيعية والاعتيادية إلى أمكنة فنية عن طريق الاستخدام الأمثل لألفاظ اللغة، وذلك بأنزياح مفرداتها وإكسائها ملامح شعرية، وإلغاء المسافات بين الأشياء المكانية أو توحدها، أي ألغاء الحدود الهندسية للمكان، فيتولد حينذاك مكان خاص بالنص الأدبي، هو المكان المتخيل الذي أنتجه الخيال الشعري، ذلك هو المكان الشعري)[6].

ويتشكل المكان في النص الشعري عن طريق السرد القصصي أو قل البنية القصصية لهذا النص، فثمة علاقة قوية وحميمة بين المكان وعناصر السرد القصصي

---

(١) جماليات المكان: مجموعة باحثين؛ دار قرطبة- البيضاء، ط٢، ١٩٨٨، البحث الموسوم بـ" جماليات المكان في مسرح صلاح عبد الصبور: مدحت عبد الجبار، ص٣٤.

(٢) م.ن.: ص٣٧.

(٣) يُنظر: جدلية الخفاء والتجلي: د. كمال ابو ديب، دار العلم للملايين- بيروت، ١٩٧٩، ص١٠٩-١١٠.

(٤) يُنظر: نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين: ألفت كمال الدروبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٨٤، ص١١٣.

(٥) المكان في الشعر العراقي الحديث: ص١٨.

(٦) الزمان والمكان في شعر العصر العباسي الاول: ص٧١.

ولعلّ أول هذه العلاقات وأكثرها أهمية هي علاقته مع الزمان- ردفه وصنـــوه-[1]؛ أذ كل زمان يتحدد في مكان ما كذلك أن أي مكان لا يمكـــن أن يكـــون واقعـــاً لأفعالنـــا ونشاطاتنا إلا في لحظة زمنية معينة[2].ولا تقتصر علاقة المكان مع الزمن في البنيـــة القصصية للنص الشعري إذ يرتبط ايضا مع عناصرها الاخرى (الحدث والشـــخصيات والصراع) فالمكان غالباً ما(يحدد فيها مسار الشخوص ويركز فيها وقـــوع الاحـــداث ضمن زمن داخلي ونفسي يخضع لواقع التجربة في العمل الفني)[3].

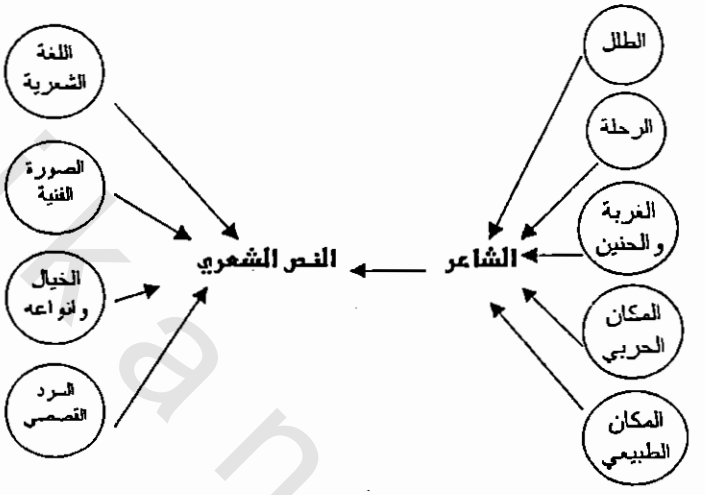

مخطط يوضّح وسائل تشكيل المكان(الموضوعية والفنية) في النص الشعري

(١) عن هذه العلاقة دراسات كثيرة، فلسفية، تأريخية، أدبية. يُنظر: المعجم الفلسفي: ٤١٣/٢؛ وحدة الزمـــان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي: حيدر لازم مطلك (أطروحة دكتوراه)، كلية الاداب في جامعة بغـــداد. ١٩٩٢، ص٦٥؛ الزمان والمكان في لشعر العصر العباسي الاول: ص١٦٨-٢٠٩.

(٢) يُنظر: دلالة المكان في مدن الملح: ص٩، البناء الفني في الرواية العربية في العراق: ١٧/٢.

(٣) المكان في الشعر العربي قبل الاسلام: ص١٧.

أضاءة أخيرة: التقسيم الأدبي للمكان(النظرية الاقليمية في دراسة الأدب) وأثرها في الدراسات الأندلسية.

نشأ هذا العنوان في هذا التمهيد من رغبة ملحة فرضتها طبيعة البحث الذي يشكل جزءاً مهماً من النظرية الأقليمية في دراسة الأدب العربي، وأهمية هذا العنوان تعود لسببين رئيسين:

الأول منهما: كون معظم الدراسات التي تناولت المكان وأنماطه بالدراسة والتحليل، في التنظير والتطبيق لم تتناول هذه النظرية فيما تناولته من مفردات دخلت في صميم بحثها ودراستها.

والآخر؛ يفرضه الأدب الأندلسي نفسه، فهو مرحلة تأريخية طويلة أمتدت ثمانية قرون، أنتجت أشعاعاً حضارياً منيراً في المجالات كافة، وبذا أستحق هذا الاقليم أن نفرده بدراسات ودراسات كلها تصبُّ في معاملة الأندلس أقليماً جغرافياً له أثره في الأنتاج الفكري والسياسي والأدبي العربي ، وهذا ما تسعى إليه هذه النظرية بحد ذاته.

والنظرية الاقليمية أنما تعنى بدراسة الأدب العربي كلاً بحسب بيئته وأقليمه[1]، فهناك أدب في الكوفة وآخر في البصرة وثالث في الشام ورابع في الأندلس... وهكذا؛ بدراسة أثر الاقليم على الأدب المنتَج فيه من خلال مؤثراته العامة كافة.

لقد ظهرت دراسات عدّة تقوم على أسس هذه النظرية وأركانها في الشعر المشرقي مثل:

---

(١) يُنظر: مناهج الدراسة الأدبية في الأداب العربية:- عرض، ونقد واقتراح-: شكري فيصل. دار العلم للملايين- بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٣م، ص١٥٩-١٩٢، وهي دراسة مفصلة لهذه النظرية وجوانبها التأريخية والأدبية عند القدامى والمحدثين.

ولم يغفل النقد العربي القديم أثر المكان والبيئة على شعر الشاعر ونتاجه، وممن فعل ذلك ابن سلام (ت٢٣٢هـ) في كتابه(طبقات فحول الشعراء) إذ نلحظ أنه قسم الشعراء بحسب أقاليمهم، كشعراء القرى العربية، وشعراء المدينة، ومكة، والطائف، والبحرين، ويهود المدينة. يُنظر: مناهج الدراسة الأدبية، ص١٦٣-١٦٤، التقسيم الاقليمي في كتب التراجم- نشأة وتطور وتأريخ-: د. احمد النجدي. مجلة المورد، مج٣٠، ع٤، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، ص٢١. ومثله فعل الثعالبي(٤٢٩) في اليتيمة فقسمهم بحسب أقاليمهم فكان على أربعة أقسام: قسم لشعراء الشام، وقسم لشعراء العراق، وقسم لشعراء فارس وجرجان وطبرستان. وقسم لشعراء خرسان وما وراء النهر.

يُنظر: مناهج الدراسة الأدبية: ص١٦٥، التقسيم الاقليمي في كتب التراجم: ص٢٢-٢٣.

أ- دراسة د. يوسف خليف: حياة الشعر في الكوفة حتى نهاية القرن الثاني الهجري، دار الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨.

ب- دراسة د. احمد كمال زكي؛ الحياة الادبية في البصرة؛ طُبع، دار الفكر- دمشق، ط١، ١٩٦١م.

وأُعيد طبعه، دار المعارف- مصر، ط٢، ١٩٧٤م.

جـ- دراسة د. عبد الستار الجواري؛ **الشعر العربي في بغداد حتى نهاية القرن الثالث الهجري**؛ مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٦.

د- دراسة د. هند حسين طه؛ **الأدب العربي في أقليم خوارزم**؛ طبع: منشورات وزارة الاعلام، العراق،١٩٧٦.

أن نظرة سريعة وفاحصة الى الدراسات التي تناولت الادب الاندلسي- شعراً ونثراً وتوشيحاً- تبيّن لنا مدى أهمية الوقوف على النظرية الاقليمية وأن نخصّها بمعالجاتنا وطروحتنا النقدية التي تركز على أثر الاقليم- البيئة- في هذا الادب، إذ لم تحظ هذه النظرية بكبير دراسة او بعظيم أهتمام مثلما حظيت بها النظريات الاخرى كالنظرية المدرسية- القائمة على التقسيم السياسي لعصور الأدب-[1]، أو النظرية الفنية التي تهتم بكبار الشعراء وعظمائهم[2].

وعن الدراسات التي أحتضنت الأدب الاندلسي: وتبنّت مفاهيم النظرية الاقليمية وخصائصها يمكن أدراجها تحت المرتكزات الآتية:

١- التي تناولت أثر الاندلس من حيث مظاهرها الطبيعية. فقد سحرت تلك الطبيعة الغنّاء العقول، ودارت حولها الاقلام فأنتجت أثراً بديعاً خالداً، كشف الستر عن مزاياها وظواهرها باحثون فضلاء. ومن هذه الدراسات:

أ- **الطبيعة في الشعر الاندلسي**؛ د. جودة الركابي، مطبعة جامعة دمشق،١٩٥٩. وهي دراسة موجزة ذات خصائص عامة لشعر الطبيعة في الاندلس.

---

(١) وفق هذه النظرية يمكننا تقسيم الادب الاندلسي في خمسة عصور: ١- عصر لفتح والولاية(٩٢-١٣٨)،٢- العصر الاموي (١٣٨-٣٩٩)،٣- عصر الطوائف والمرابطين(٤٠٠-٥٤١)،٤- عصر الموحدين(٥٤٠-٦٢٠)،٥-عصر دولة بني الاحمر(٦٣٥-٨٩٧هـ). يُنظر: الادب الاندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة: د. منجد مصطفى بهجت ، دار الكتب ، الموصل ،١٩٨٨، ص١٨-١٩.

(٢) من هؤلاء الشعراء في الاندلس؛ ابن زيدون(ت٤٦٣)، ابن حمد يس(ت٥٢٧)، ابن خفاجة (ت٥٣٣) وعن هذه النظرية يُنظر؛ مناهج الدراسة الادبية ص١٣١-١٥٥.

ب- الوصف في الشعر الاندلسي- عصر الطوائف-: رياض كريم جوهـــر، (رســالة ماجستير) من كلية الاداب في جامعة بغداد،١٩٨٨.

جـ- الطبيعة في الشعر الاندلسي- عصر الموحدين-: محمد سعيد نـــاجي، (رســالة ماجستير) من كلية الاداب في الجامعة المستنصرية،١٩٩٥.

والملاحظ على هذه الدراسات- بأستثناء الاولى- أنها أهتمت بعصرٍ معين، فدار حولـه الموضوع وحول شعرائه. وربما تداخل مع أثر الطبيعة أثـــر البيئـــات الاخـــرى السياســية والاجتماعية والثقافية- بصورة عامة- في بعض الدراسات؛ ومنها:

١- دراسة د. سعد اسماعيل شلبي الموسومة بـ" البيئة الأندلسية وأثرها فـــي الشـــعر عصر ملوك الطوائف"، دار نهضة مصر للطبع والنشر١٩٧٨. وهي دراسة جليلة تنّـــم عـــن جَهد كبير، وتميز علمي واضح.

٢- دراسة د.عبد الرزاق حسين الموسومة بـــ" الادب العربي في جرز البليـــار"[1]: دار الجيل للنشر والدراسات والابحاث الفلسطينية، عمان،ط١، ١٩٩٤، وهي لا تقل عن ســـابقتها جهداً وتميزاً.

٢. التي تناولت أثر المدن في الشعر الاندلسي، ونشوء الشعراء في مدة ما فـــي مدينـــة معينة أستحقوا الدراسة،الاهتمام منها:

أ- دراسة د. محمد مجيد السعيد" الشعر في ظل بني عباد"؛ مطبعة النجـــف الأشـــرف، ط١، ١٩٧٢.وفيها ركّز الباحث على سمات المجتمع الاشبيلي وعناصرها ودياناتـــه وطبقاتـــه ومن ثمّ أثرها على الشعر.

ب- دراسة الباحث حسين أسعد نصر- الدكتور حالياً- "الشعر في غرناطة في ظل بني الاحمر"،(رسالة ماجستير)- كلية الاداب في جامعة بغداد، ١٤٠٣هـــ-١٩٨٣م.

جـــ- دراسة الباحث عبد الرحمن حميد ثامر" الشعر الاندلسي في ظل بني هود"، رسالة ماجستير في كلية التربية في جامعة الانبار،١٩٩٥.

د- دراسة الباحث اسماعيل عباس جاسم " الشعر في بلنســـية فـــي عصـــر الطوائـــف والمرابطين "،رسالة ماجستير- كلية الاداب في جامعة بغداد، ١٤٠٨هـــ -١٩٨٨م.

٣-التي تناولت أثر طارئاً أنتج شعراً له سمات موضوعية وفكرية معينـــة، أصبحـــت غرضاً مشاعاً ومادة خصبة لدراسات أكاديمية، منها:

---

(١) هي الجزر الثلاث(ميورقة، منرقة، يابسة)، وتسمى بالجزائر الشرقية أيضاً.

١-أثر الحروب والفتن؛ وقد قدمنا القول فيها وفي دراساتها[١].

٢-الغربة والحنين إذ شكل ملمحاً مهماً، وترك أثراً بيناً خصّه الدكتور احمد حاجم برسالته للماجستير تحت عنوان الغربة والحنين في الشعر الاندلسي مجازة من كلية الاداب في جامعة بغداد، ١٩٨٣.

أن كل ما تقدم من دراسات متميزة في مضمار اختصاصها، متبعة سمات المنهج العلمي الأصيل، خرجت عن أيدي باحثين كرسوا حياتهم، ودبجّوا أقلامهم خدمة للعلم، واخلاصاً في نشره، جديرةٌ بالثناء والاعجاب، مستحقّة الخلود الذي كُتب للعلم مدى الحياة.

ومايلحظه القارئ النبيه والناقد المختص، أن ماتقدم من عنوانات شكّلت أبحاثاً لمؤلفيها وكاتبيها، أنها آختصت بمدة معينة من تأريخ الأدب الاندلسي وهو عصر الطوائف على الاكثر، إذ هو عصر الأزدهار والنضج[٢] إذا ماقيس بعصور الاندلس الأخرى؛ كما أنه العصر الذي شهد ظهور كبار الشعراء والادباء كابن شهيد (ت٤٢٦) وابن زيدون (ت٤٦٣) وابن عمّار (٤٧٧) والمعتمد (٤٨٨) وغيرهم، وهو عصر الرخاء المادي والترف الحضري، ولذا ولّد- نتيجة هذه العوامل وغيرها- أدباً انكبّ على دراسته باحثون كثيرون، من وجوهٍ مختلفة.

ومثلما نلاحظ تميّز هذا العصر، نلاحظ تميّزاً لبعض المدن اللواتي أحتضنت هؤلاء الشعراء وغيرهم، كيلنسية مدينة ابن الزقاق (ت٥٣٠)،وابن خفاجة، وآشبيلية مدينة المعتمد وفيها أقام ابن عمّار، ومدينة سرقسطة عاصمة بني هود ومركز جذبهم للشعراء والادباء من حولهم، أو التي تناولت جزءاً من المدينة لحركتها الشعرية المتميزة[٣].

إنّ دراستنا هذه -إن شاء الله- مكملة لجهود هؤلاء الباحثين وغيرهم؛ فهي تمتدّ الى عصر مابعد الطوائف بالتحليل والشرح، وهي لم تختص بغرض معين، ولم تُحدد بمدينة ما، بل؛ شملت الاغراض كافة في المدن جميعاً بمراعاة أثرْ البيئة فيها ومأامتازت به عن البيئة المشرقية، وماولّدت من شعر بناءً على هذا التميز، وبذا هي تقف على فحوى النظرية الاقليمية في أسسها ونتائجها.

---

(١) يُنظر هامش رقم(١) من الصفحة(٢١) من هذا التمهيد.

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي: د. شوقي ضيف ، دار المعارف -مصر - ط٤، ١٩٦٠، ص٤٣١.

(٣) ينظر: جزيرة شقر (الانسان والمكان): د. صلاح جرار، مجلة مجمع اللغة الاردني، ع٣٤، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨، ص١٥١-١٩٦.